

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : 2 - سورة الممتحنة - تفسير الآيات 4-5 الولاية والبراءة.

02-08-1996

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

من أخصّ خصائص المؤمن أن يوالي أهل الإيمان ويتبرأ من أهل الكفر والعصيان :

أيها الأخوة المؤمنون، مع الدرس الثاني من سورة الممتحنة، ومع الآية الرابعة وهي قوله تعالى:  
﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ \* رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُ رَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

أيها الأخوة الكرام، الآية الرابعة في سورة الممتحنة تشير إلى موضوع خطير جداً في حياة المؤمن، موضوع الولاية والبراءة، من أخص خصائص المؤمن أن يوالي أهل الإيمان وأن يتبرأ من أهل الكفر والعصيان، ما لم يوال وما لم يتبرأ تتداخل الأفكار، تتداخل المشارب، يختلط السلوك، دون أن يشعر يرى نفسه مع أهل الدنيا، مع المتفلسفين، فلا بد من الوقاية، نبغ صافٍ، عذب زلال، إن أردنا أن نحافظ على صفائه لا نسمح بالمصبات عليه، فإذا سمحنا بالمصبات عليه كانت مياهه مالحة سوداء.

الولاية والبراءة :

موضوع البراءة والولاية، المؤمن يوالي أهل الإيمان، لا يقيم علاقة حميمة إلا مع أهل الإيمان، لا يرتاح إلا لأهل الإيمان، لا يتعامل إلا مع أهل الإيمان، لا يأكل طعامك إلا تقى، لا تُصاحب إلا مؤمناً، لأنك بأخيك تتقوى، عن طريق أخيك تزداد إيماناً، تزداد اطمئناناً، تزداد تألقاً، يطمئنك وتطمئنه، يشجعك وتشجعه، يدعمك وتدعمه، يُصَبِّرْكَ وتُصَبِّرْهُ، يكشف لك بعض الحقائق وتكشف له، قال تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾

[ سورة المائدة:2 ]

لو أن مؤمناً صاحب أهل العصيان، لمال إلى الدنيا، كره طاعة الله، استمرراً المعصية، غفل عن ذكر الله، شيناً فشيناً هو معهم وعلى شاكلتهم، يشقى بشقائهم، وينحرف بانحرافهم، ويقلق بقلقهم، فلذلك المؤمن لا يوالي إلا مؤمناً.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾  
﴿ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ﴾

[سورة المجادلة: 14]

من صالح المؤمن أن يكون مع المؤمنين :

هنا في هذه الآية:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

[سورة الممتحنة: 6]

الأسوة هي القدوة، هذه الأسوة في أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

﴿ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ ﴾

[سورة الممتحنة: 6]

فنحن ما علاقتنا بهذه الآية؟ الإنسان إذا صاحب المؤمنين اقتبس من علمهم، إذا صاحب المؤمنين اقتبس من أخلاقهم، إذا صاحب المؤمنين قَرَّبوه إلى الله عزَّ وجل، حَسَّنوا له الحسن، قَبَّحوا له القبيح، شَجَّعوه على الاقتراب من الجنة، أبعده عن الناس، نَوَّروا عقله، طمأنوا قلبه، أعانوه على طاعة الله، تَبَطَّأوا عزمته على معصية الله، فلذلك من صالحك كمؤمن أن تكون مع المؤمنين، والدليل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

[سورة التوبة: 119]

أمر إلهي، وكل أمر في القرآن الكريم ما لم تكن قرينةً على عدم الوجوب هو واجب.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

[سورة التوبة: 119]

الحمية الاجتماعية من ألزم لوازم المؤمن :

أما لو جلست في أماكن أهل الفسق والفجور، في متنزَّهاتهم، في مقاصفهم، لو قبلت سلوكهم، لو عذرتهم فيما هم فيه، لو أقمت علاقاتٍ حميمةً معهم، لو سافرت معهم، لو تعاملت معهم تعاملًا اندماجيًا، لو شاركتهم، لرأيت نفسك شيئاً فشيئاً تميلُ إليهم، وشيئاً فشيئاً تبتعد عن دينك، لأن هناك نقطة دقيقة جداً،

أنت نقطة هنا مكان وهنا مكان، فكما اقتربت من هذه النقطة ابتعدت حكماً عن هذه النقطة، كلما اقتربت من أهل الفسق والفجور ابتعدت حكماً عن أهل الإيمان، كلما اقتربت من المعصية ابتعدت عن الطاعة، فذلك من خصائص الإيمان، من ألزم لوازم المؤمن أن يوالي المؤمنين، وأن يبتعد عن أهل الكفر والفسوق.

﴿ فَأُوُوا إِلَى الْكُهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴾

[ سورة الكهف: 16 ]

أي أوي إلى بيت الله، أوي إلى بيتك أحياناً، ابتعد عن مواطن الفتن، لا تصاحب إلا مؤمناً، لو صاحبت إنساناً متفلتاً لحدتك عن مغامراته وعن انحرافاته، ولعلك في ساعة ضعفٍ تتمنى أن تكون مكانه، لعلك في ساعة غفلةٍ تلتمس العذر بأن تكون معه، فذلك الحمية الاجتماعية من ألزم لوازم المؤمن، هذا موضوعٌ فصلٌ فيه العلماء اسمه: الولاء والبراء، أن توالي أهل الإيمان، وأن تتبرأ من أهل الكفر والعصيان.

#### خصومة المؤمن مع الكافر خصومة عقيدة و انحراف فقط :

أيها الأخوة الكرام، سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء، أنت في الصلاة تقول: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، الله عز وجل جعل هذا النبي العظيم قدوة لنا قال:

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ ﴾

لكن أيها الأخوة، هناك نقطة دقيقة جداً: لا يمكن أن تكره الكافر والعاصي والفاجر لذاته، إنما تكرهه لعمله، والدليل أنه في اللحظة التي يتوب إلى الله ويصطلح معه هو أقرب الناس إليك، إن كانت هناك عداوة، عداوة عقيدة، عداوة انحراف لا عداوة شخصية، لأن المؤمن حينما يصطلح خصمه المنحرف مع الله يصبح أقرب الناس إليه.

ذكرت في الدرس الماضي أن عمر بن الخطاب الخليفة العظيم، الصحابي الجليل، عملاق الإسلام لما رأى عمير بن وهب متوشحاً سيفه قال: هذا عدو الله عمير جاء يريد شراً، قيده بحماله سيفه، وساقه إلى النبي وقال: " هذا عدو الله عمير جاء يريد شراً " - القصة تعرفونها وذكرتها كثيراً- يقول عمر: دخل عمير على رسول الله والخنزير أحب إلي منه، وخرج من عنده وهو أحب إلي من بعض أولادي "، لا توجد في الإسلام عداوة دائماً، هناك عداوة مؤقتة، هناك عداوة أساسها الانحراف، أساسها الكفر، أساسها التقصير، فذلك:

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ ﴾

## لا تصاحب من لا ينهضك إلى الله حاله ولا يدلك على الله مقاله :

ليس شرطاً أن تقول لمن حولك من العصاة، والتائهين، والشاردين، والمنحرفين، والذي لا يصلون، ولا يأترون بأمر، ولا ينتهون عن نهْي، ليس شرطاً أن تقول هذا الكلام ولكن انسحب، ابتعد عن الفجور، عن أماكن الفجور، ممن يفجرون، عن المنحرفين، ابتعد واسلم بدينك، نحن في أمسِّ الحاجة إلى حمية اجتماعية من أجل أن نحافظ على سلامة عقيدتنا، وعلى صفائنا، وعلى استقامتنا، يجب أن نقيم علاقةً مع المؤمنين، يجب أن تصحب المؤمنين.

فكل أخ من أخواننا الكرام في جاهليته قبل أن يهندي إلى الله، له أصدقاء، له معارف، هؤلاء إن استطاع أن يؤثر فيهم ليبقى معهم، ذكرت في الدرس الماضي أن الضابط في هذا الأمر لعبة شدِّ الحبل، إن أمكنك أن تشدُّهم إليك ابقَ معهم وخذ بيدهم إلى الله واحداً واحداً، لأن الله يسأل العبد عن صحبة ساعة، أما إن شعرت أنهم أقوى منك ويمكن أن يشدُّوك إليهم فعندئذٍ ابتعد عنهم وأذ بالمؤمنين، ولا تصاحب من لا ينهضك إلى الله حاله، ولا يدلك على الله مقاله.

**((عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، فإنما يأكل الذئب**

**من الغنم القاصية ))**

[ أخرجه أحمد في مسنده والترمذي والحاكم عن عمر ]

## حرص المؤمن على مجالس العلم لأنها مجالس الرحمة :

أخوتنا الكرام، الإنسان حينما يأتي بيتاً من بيوت الله، يأتي بنية صافية، بنية أن يفتح الله عليه، بنية أن يرحمه، بنية أن يطمئنه، أن يتبته، أن ينور قلبه، أن يزداد علماً، أن يزداد قرباً، إذا أتيت بيتاً من بيوت الله، وحينما دخلت هذا البيت قلت:

**((اللهم افتح لي أبواب رحمتك))**

[أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي حميد وأبي أسيد]

فإن الله سبحانه وتعالى يستجيب لك، يطمئنتك، يقول عليه الصلاة والسلام حينما سأله الصديق رضي الله عنه ومعه حنظلة، سيدنا حنظلة صحابي جليل رآه الصديق يبكي في الطريق قال: " مالك يا حنظلة؟ قال حنظلة: نافق حنظلة، قال: ولم يا أخي؟ قال: نكون مع رسول الله ونحن والجنة كهاتين فإذا عافسنا الأهل ننسى، قال: يا أخي أنا كذلك، انطلق بنا إلى رسول الله فلما انطلقا إلى رسول الله وحدثاه الحديث قال: أما أنتم يا أخي فساعة وساعة، لو بقيتم على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة ولزارتكم في بيوتكم".

معنى ذلك أنك وأنت في مجلس العلم تكون أقرب إلى الله من أي وقتٍ آخر، لذلك أنت بحاجة إلى

شحن، حينما تأتي خطبة الجمعة، حينما تجلس في مجلس علم تشحن روحياً، تشحن فكرياً، تشحن نفسياً، تنطلق إلى عملٍ صالح، لو أن هذا الشحن لم يكن منتظماً لضعف مصباحك وتهت في طريقك، فلذلك حينما تأتي إلى بيت الله لا تريد إلا طلب العلم الملائكة تضع أجنحتها لك رضاً بما تصنع:

**(( مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ))**

[أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه]

لذلك المؤمن يحرص على مجالس العلم لأنها مجالس الرحمة، لأن في هذه المجالس تنتزل رحمة الله عز وجل، في هذه المجالس تُعشى الناس السكينة، في هذه المجالس تحف الناس الملائكة، فأنت بعد المسجد في حفظ الله.

**﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾**

[سورة الرعد: 11]

هذا الحفظ من أمر الله، بأمر من الله يحفظونه، لأن الناس هم في مساجدهم والله في حوائجهم، " كن لي كما أريد أكن لك كما تريد، كن لي كما أريد ولا تعلمني بما يصلحك - لا تكلف نفسك أن تقول لي ماذا تريد، أعرف ماذا تريد- كن لي كما أريد ولا تعلمني بما يصلحك، أنت تريد وأنا أريد فإذا سلّمت لي فيما أريد كفيتهك ما تريد، وإن لم تسلّم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد ".

**ليس من الحكمة أن يندمج الإنسان مع أهل الكفر والعصيان :**

لذلك هذه الآية:

**﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ ﴾**

فهؤلاء المنحرفون، هؤلاء الفاسدون، هؤلاء التائبون، هؤلاء الشاردون، لو جلست معهم، وأنستهم، وأثنت عليهم، وجاملتهم، لا يتوبون إلى الله، يقولون: فلان من أهل الإيمان هو معنا دائماً و لم يذكر شيئاً، أنت حينما تجلس معهم، وتقيم معهم علاقات حميمة، وتثني على ذكائهم، ولباقتهم، وفهمهم، وتقرّب إليهم نفاقاً، أنت تحول بهذا بينهم وبين أن يتوبوا إلى الله، أما حينما تقف موقفاً ذكياً، حينما تعتذر عن أن تجلس معهم، حينما تعتذر منهم، فهم يومئذ يبحثون عنك، فلذلك ليس من الحكمة أن تندمج مع أهل العصيان، أساساً لو أتت اندمجت معهم لجرّوك إليهم، إما باحتفالاتهم، أو بسهراتهم المختلطة، أو بما يشاهدونه من خلاعة وانحطاط، تكون معهم، تمزح مزحهم، تأكل مما يأكلون، تختلط معهم، انسحبت إليهم وأنت لا تدري.

على الإنسان أن يقيم حاجزاً بينه وبين أهل الفسق والفجور :

لذلك:

﴿ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ ﴾

ليس شرطاً أن تقولها بلسانك لا يوجد داع، انسحب، ابتعد.

﴿ وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾

[ سورة الكهف: 16 ]

يجب أن تقيم حاجزاً بينك وبين أهل الفسق والفجور، أما إذا عادوا إلى الله، إذا تابوا إليه، إذا اصطلحوا معه، يجب أن تهيبهم روحك، يجب أن تُعطيهم كل ما عندك من ود، ومن صلة، ومن محبة، لأن كل عداوة بين إنسانين عداوة مؤقتة، لو أنهما اصطلحا مع الله لكانا أقرب إنسانين إلى بعضهما.

﴿ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾

لأن أهل الكفر لا يعبدون الله، يعبدون ما دون الله، معبودهم شهوتهم، معبودهم هواهم، معبودهم الدرهم والدينار، معبودهم فرجهم، معبودهم بطنهم:

(( تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ ))

[ أخرجه البخاري عن أبي هريرة ]

(( تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهِمِ ))

[ أخرجه البخاري عن أبي هريرة ]

يعبدون الشهوات، يخضعون لها، يذوبون أمامها، يؤلهونها، هي آلهتهم من دون الله عز وجل.

﴿ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾

تحرر المؤمن من أسر الشهوات يرفعه عند الله عز وجل :

لا شيء يرفع المؤمن كهذا التحرر من أسر الشهوة، الكافر، المنافق، العاصي، عبدٌ لشهوته، ذليلٌ أمامها، خاضعٌ لها، مثلاً ورد:

(( من تزوج المرأة لجمالها أدلّه الله، من تزوجها لمالها أفقره الله، من تزوجها لنسبها زاده الله دناءةً،

فعليك بذات الدين تربت يداك ))

[ ورد في الأثر ]

فالإنسان حينما يعبد شهوته من دون الله يسقط من عين الله، لهم صغارٌ عند الله.

﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾

[ سورة الكهف: 105 ]

أما حينما يتحرر من شهوته، ما الذي جعل يوسف عليه السلام حينما دعتة امرأة - امرأة العزيز - ذات منصبٍ وجمال قال: معاذ الله، إني أخاف الله رب العالمين.

﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾

[ سورة يوسف: 23 ]

﴿ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ ﴾

أي أن انسحابك من المجلس كأنك قلت:

﴿ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ ﴾

دعوة مختلطة إن اعتذرت عنها، كأنك قلت:

﴿ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ ﴾

دعوة إلى طعام يوزع فيه المشروب إن اعتذرت عن هذه الدعوة كأنك قلت:

﴿ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ ﴾

دعوة إلى حفلة لا ترضي الله عز وجل كأنك تقول:

﴿ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ ﴾

فابتعادك عن مجلس فسقٍ، أو فجورٍ، أو انحرافٍ، أو كذبٍ، هذا الابتعاد هو نفسه كأنك تقول:

﴿ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾

**الكفر بالطاغوت أساس الإيمان بالله عز وجل :**

لا يمكن أن تؤمن بالله إلا أن تكفر بالطاغوت.

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾

[ سورة البقرة: 256 ]

أي إذا كنت تعظم أهل الكفر، ترى ذكاءهم، إنجازاتهم، مخترعاتهم، مجتمعاتهم، أوضاعهم، رفاههم، بيوتهم، مركباتهم، تجارتهم، إذا كنت معجباً بها، ذائباً في تعظيمها، موالياً لهم، من هوي الكفرة حشر معهم ولا ينفعه عمله شيئاً، الإنسان أحياناً في غفلة يعيش لحظته يقول لك: هذا البلد مريح، الأمور ميسرة، المركبات رخيصة، البيوت بالتنقيط، بلد كله أخضر مثلاً، وغفل عن الفسق والفجور، وعن أن أولاده لا يبد من أن ينحرفوا، وأنه لا يستطيع أن يردع ابنته عن صديق لها ينام معها، ماذا يفعل؟ حينما

تتقدم به العمر ويرى مصيره المشؤوم، يدخل على قلبه كآبة تنسيه الحليب الذي رضعه من ثدي أمه، إذا أردت إنفاذ أمرٍ فتدبر عاقبته، أخوةٌ كثيرون يحدثونني عن المآسي التي يعيشونها في بلاد الغرب، لا يستطيع أن يمنع ابنته من صديقٍ لها يعلم علم اليقين أنه يزني بها، فلا يقدر على ذلك، هكذا الحياة هناك، أما حينما تؤثّر الله ورسوله، وتؤثر بلداً تقام فيه شعائر الدين، تؤثر بلداً تستطيع أن تقيم أمر الله فيه، فهذا هو العقل، وهذا هو الذكاء، من أقام مع المشركين برئت منه ذمة الله.

**من يعتقد أن الصلاح والكمال في جهةٍ كافرةٍ فالطريق إلى الله مسدود :**

أقول لكم هذه المقولة: لو أن إنساناً سافر إلى بلدٍ غربي وتزوج من هناك، هناك متاعب لا تُحصَى سوف تنتظره؛ من تربية أولاده، من فسوق أولاده، من انحرافهم، والحقيقة الأساسية أن الإنسان مهما بلغ من نجاح الدنيا يشقى بشقاء أولاده، كن أغنى الناس، كن أرقى الناس، كن أعلم الناس، كن أقوى الناس، يشقى الإنسان بشقاء أولاده لأنهم امتداده، لأنهم منه، فإن شقوا شقي بشقائهم، ذكرت هذا لأن الذي يوالي أهل الكفر والعصيان، هم ملء سمعه وبصره، يثني عليهم، على ذكائهم، على تقدمهم، هم يبنون مجدهم على أنقاض الناس، يبنون حياتهم على موت الناس، يبنون غناهم على إفقار الناس، يبنون أممهم على إخافة الناس، هؤلاء وحوش، لذلك من نعم الله الكبرى أننا قبل خمسين عاماً أو قبل أربعين عاماً كان الغرب متألقاً أمام عيون الناس، ولكنه الآن كشف على حقيقته، ظهرت وحشيته، ظهر حقه، ظهر تناقضه، هذا من نعم الله علينا أن حقيقة الغرب كشفت لنا تماماً، وما دمنا نعتقد الصلاح والكمال في جهةٍ كافرةٍ فالطريق إلى الله مسدود.

**الناس جميعاً كَشَفُوا حَقِيقَةَ الْغَرْبِ وَأَزَاحُوا عَنْ وَجْهِهِ الْقَنَاعَ الْكَاذِبَ:**

أما الآن:

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾

[ سورة البقرة: 256 ]

فمئات الألوف يموتون ظلماً ولا أحد يتحرك، بضعة أشخاص يقتلون بحادث تجتمع الدول كلها من أجل أن تندد بهذا الحادث، هذا مكيالٌ واحد؟ يكال كل شيءٍ بمكيالين، هذا الحقد، هذا الانحياز يظهر جلياً، لذلك من الإيجابيات لما يجري أخيراً أن كل الناس كَشَفُوا حَقِيقَةَ الْغَرْبِ، أزاحوا عن وجهه القناع الكاذب:

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ﴾

[ سورة البقرة: 256 ]

﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾



هذا هو موقف المؤمن، ما دام هناك شرك، و نفاق، و انحراف..

على الإنسان أن يُبَلِّغَ و على الله الباقي :

﴿ وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبُغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ  
وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾

قال: هذا وضع استثنائي.

﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ  
إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾

[ سورة التوبة: 114 ]

تَوَهَّم إبراهيم عليه السلام أو ظن أن أباه سيسلم، سيؤمن معه:

﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾

[ سورة التوبة: 114 ]

﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ  
الْمَصِيرُ ﴾

سيدنا إبراهيم سلَّم الأمر لله، أي أنت عليك أن تُبَلِّغَ و على الله الباقي:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾

[ سورة البقرة: 272 ]

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾

[ سورة القصص: 56 ]

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[ سورة الشورى: 52 ]

مضمون الدعوة حق، أما أن يحمل النبي عبء هداية الناس فهذا فوق طاقته، إنك لا تستطيع أن تهديهم لأنهم مخيرون، ولست مسؤولاً عن عدم هدايتهم لأنهم محاسبون، أما أنت مكلَّف أن تبلغهم، وحينما تبلغهم تنتهي مهمتك.

أكبر جريمة يرتكبها المسلم أن يُقَصِّرَ أو يكذب أو يخلف الوعد :

أيها الأخوة، أما أخطر آية في هذه السورة هي هذه الآية:

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

فالمسلم معروف أنه مسلم، عند الناس مسلم، محسوبٌ على المسلمين، هذا المسلم إذا أساء، إذا كذب، إذا احتال، إذا لم يصدق، إذا غشَّ الناس، إذا أخلف وعده، إذا لم ينجز عهده، ماذا يقول الكافر؟ الدين باطل، الدين ليس له أصل، الدين خرافة، الدين أفيون الشعوب، الدين ضلالات، الدين غيبيات، الدين حالة ضعف للإنسان، لأن الكافر ما رأى ذلك الإنسان العظيم، رأى إنساناً تافهاً، كاذباً، مُتناقضاً، دَجَّالاً، فما الذي حمل الكافر على كفره؟ ما الذي جعله كافراً؟ ما الذي ثبت كفره؟ سلوك هذا المسلم المُقَصِّر، لذلك أكبر جريمة يرتكبها المسلم أو المؤمن أن يُقَصِّر، أو أن يكذب، أو أن يخلف الوعد، أو أن يحتال، أو أن تكون له شخصية ازدواجية، لذلك يعطي الكافر حجة يتمسك بها، يقول لك الكافر: هذا هو الإسلام، هذا دَجَل.

### ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

يا رب احفظنا عن أن نكون سبباً لكفر كافر، أنت محسوب على المسلمين، أنت مظنة صلاح، مظنة استقامة، مظنة صدق، مظنة وفاء، مظنة عفاف، مظنة طهر، هكذا المؤمن، فلو رأى الكافر كذباً أو انحرافاً أو احتيالاً أو غشاً يصدر من إنسان يصلي أعطيته الدليل على أن الدين باطل، أعطيته مستمسكاً، يقول: هذه حقيقة الأديان إنها خرافة.

### ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

الناس يتعلمون بعيونهم لا بأذانهم :

إذا دعوت إلى الله بمضمونٍ سطحي، خُرَافي، منامات، كرامات، شطحات، كلام سطحي، غير متماسك، متناقض، بأسلوب غير علمي، غير تربوي، غير سليم، أو دعوت إلى الله بمضمونٍ عميق وأسلوبٍ علمي لكن هذا المدعو اكتشف أنك لست صادقاً فيما تقول، أنت في واد ودعوتك في واد، إنك لا تطيق ما تقول، إنك تمتهن الدين، إنك تجعل الدين مطيةً للعالم، هذا المدعو إن رأى ضحالة، أو سذاجة، أو خرافة، أو ضعفاً، أو تناقضاً، أو رأى أسلوباً غير علمي وغير تربوي، أو رأى عدم مصداقية في الدعوة، فرفض هذه الدعوة وتفلت منها واحترقها قال: هذا الكافر لا يكون عند الله مبلعاً، ويقع إثم تفلته من منهج الله على من دعاه بهذه الطريقة، وكان الذي دعاه بهذه الطريقة سبب فتنته، وسبب انحرافه، فقبل أن تكذب وأنت المسلم، وأنت مظنة الهدى والصلاح، وأنت مظنة المنهج الإلهي، قبل أن تكذب غد للمليون لأن الآخرين إذا ضبطوا عليك كذباً لم يصدقوك في شيء، ما الذي جعل النبي صادقاً عند الناس حينما جاءه الوحي؟ لأنهم قبل الرسالة ما جرّبوا عليه كذباً قط، فأنت أحياناً لا تنتبه، أنت مُصلِّ، تصلي في البيت، طرّق الباب، فتح ابنك، قال: يا بابا فلان، تقول له: يا بني قل له أن أبي ليس موجوداً. هل عرفت ماذا فعلت؟ ارتكبت جريمة، لأنك علمته الكذب، ولأن هذا الطفل ربط بين صلاتك والكذب، الذي يصلي يكذب، فإذا رأى إنساناً لا يكذب ولا يصلي عظّمه واحترقك، قبل أن تكذب

عُدَّ للمليون، قبل أن تحتال، قبل أن تغش في البضاعة، قبل أن تخلف وعد، أنت على ثغرة من تُعَرِّ الإسلام فلا يؤتتين من قبلك، إِيَّاكَ كل الذي تقوله يسقط في الأرض، الناس يتعلمون بعيونهم لا بأذانهم، لو ألفت ألف محاضرة في الصدق وكذبت مرة واحدة أهدرت كل هذه المحاضرات، نحن الآن أيها الأخوة لا نحتاج إلى فكر، الفكر موجود، الكتب تملأ البيوت، بالأشرطة كل شيء موجود، نحتاج إلى إنسان ملتزم، إنسان تشد إليه العيون، إنسان يطبق ما يقول، لا تأخذه في الله لومة لائم، هذه هي المشكلة..

**﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾**

**على المؤمن ألا يعطي الكافر حجة أن الإسلام دين فوضى و عدم انضباط :**

لم نكن نحن سبباً في كفر الناس، يجدون تخلفاً، و عدم نظام، وفوضى، تجد المسلم فوضى، مواعيده غير صحيحة، كلامه غير صحيح، ليس منضبطاً، حساباته كلها غلط، يقول لك: اتركها لسيدك، توكل ساذج، عدم انضباط، عدم إتقان العمل، أخطاء فاحشة، تجد إنساناً كافراً؛ مواعيده دقيقة، صادق، الكفار ما الذي جعلهم يقيمون على كفرهم؟ احتقارهم للمسلمين، ما الذي جعلهم يعتزُّون بكفرهم؟ انحراف المسلمين أمامهم، فهؤلاء الذي في الغرب حينما يأتي إنسان- وهذا معروف- من بلاد إسلامية ويبحث عن الزنا، وعن الانحراف الأخلاقي، وعن الخمر، يلهث وراء شهواته كالخنزير، وهو ينتمي إلى بلاد إسلامية، أتعقد أن أهل أوروبا يعظمون إسلامنا؟ إطلاقاً، الكذب، والفجور، والجنس، والانحراف، والخمر، والمخدرات، أما حينما يرون إنساناً مستقيماً، صاحب عقيدة صحيحة، قوي الحُجَّة، منضبطاً، عفيفاً، فهذا الذي يشدُّهم إلى الدين، هذه أخطر آية في الدرس:

**﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾**

لا نعطي الكافر حجة أنك أنت على حق ونحن على باطل، لا نعطي حجة أن الدين باطل، الدين غير صحيح، نظام غير صالح للحياة، فلذلك الناس لا يعبؤون بما في الكتب، يعبؤون بما في المجتمع، كم من إنسان أسلم في بلاد الغرب فلما جاء إلى بلادنا صُعِقُ، هذا هو الدين؟ كان يقول بعضهم: الحمد لله الذي أسلمنا قبل أن نراكم، لو رأيناكم لما أسلمنا بالطبع..

**﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾**

لا تَعْطِي الكافر حُجَّة، لا تخلف وعدك، فالنبي عليه الصلاة والسلام رأى أمماً توهم ابنها أن في يدها تمررة قالت: تعال هاك، فقال عليه الصلاة والسلام: " ماذا أردت أن تعطيه؟ قالت: تمررة هكذا، قال: أما إنك لو لم تفعل لي كتبت عليك كذبة"، المؤمن لا يكذب:

**(( يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب ))**

[أخرجه الإمام أحمد عن أبي أمية الباهلي]

إنه إن كذب أو خان لم يبق مؤمناً، يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الكذب والخيانة.

### الإسلام لا ينمو بالكلام ينمو بالأعمال :

أخ كريم ذهب إلى بلاد الغرب في دورة تدريبية، الذي لفت نظر الناس ورعه، أمانته، استقامته، يقسم بالله العظيم وهو صادق: أن الأسرة التي سكن فيها أسلمت كلها. كنا مرة في الحج رأينا رجلاً من أوروبا الغربية يطوف حول الكعبة، سألنا عنه فإذا هو من ألمانيا الغربية، ما الذي جعله يسلم؟ شاب من هذا القطر سكن عنده في البيت، وفي البيت فتاة جميلة، تمنى أن يلح والد الفتاة هذا المستأجر الطالب ينظر إلى ابنته، أبدأ، فما هذا الإنسان؟ من جبلة أخرى؟ من طبيعة أخرى؟ ناقشه، حاوره حتى أسلم، هل تصدق أن غض بصر شاب كان سبب إسلام شخص ألماني، الإسلام لا ينمو بالكلام، ينمو بالأعمال، يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الكذب والخيانة.

### ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

لا تعطي الكافر حجة أن ديننا باطل، لا تكذب، لا تغش، لا تحتال، لا تكن لك شخصية مزدوجة، كن واضحاً، الوضوح أكمل بكثير من الأسلوب المنحني، فكن واضحاً.

### المؤمن حينما يقصر أو تزلُّ قدمه يستحق تأديب الله له :

### ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

هناك معنى ثان: يا رب لا تكن عصاة لك فتسلط علينا الكفار فيفتنون في تعذيبنا، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

### ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾

[ سورة النساء: 141 ]

فإذا جعل علينا لهم ألف سبيلٍ وسبيلٍ فنحن إذا مُقَصِّرُونَ، فهؤلاء حينما يسيطرون على مؤمنين ضعاف ماذا يقولون؟ نحن على حق، ولو لم تكن كذلك لما كنا أقوى منكم، القوة تعطي وهم كبير جداً. المعنى الثاني لهذه الآية: أن المؤمن حينما يقصر، أو حينما يتأخر، أو حينما تزلُّ قدمه يستحق تأديب الله له، ماذا يكون؟ ربنا جل جلاله يسلب عليه كافرأ يعذبه، أولاً: الكافر فتن في تعذيبه، فتن في النيل منه، والكافر حينما كان أقوى من المؤمن وقد سلطه الله عليه يتوهم أنه على حق، يفتن الكافر مرتين، المرة الأولى يتوهم أنه على حق بدليل أن الله سلطه على المؤمن، لو كنت على حق لما كنت ضعيفاً أنا أقوى منك، لو كنت على حق لما مكنتني الله منك، الإنسان حينما يُقَصِّر يستحق تأديب الله..

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّخِ آبَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ \* وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾

[سورة القصص: 4-5]

الكافر يعتقد أنه مادام أقوى من المؤمن، ما دام مُسلطاً عليه، مادام متمكناً منه، فهو على حق والمؤمن على باطل، اعتقد الكافر خطأ مرتين أنه بهذا التسليط على حق، وأن هذا المؤمن أمامه دليل، أمامه مُحْتَاج، أمامه متضعع، فلو كنت على حق لما كنت هكذا، أنت أوهمت الكافر أنت حينما قصرت، وحينما عصيت، وحينما زلت القدم وتمكن الكافر منك أوهمته أنك على باطل، بدليل سيطرته وضعفك أمامه، إذأ فُتِنَ بك، رآك ضعيفاً فتمكن منك، فتوهم أنه على حق واحتقر حقك أنت، هذه الفتنة الثانية.

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

من استقام على أمر الله استحق نصره :

الأصل أن تستقيم على أمر الله حتى تستحق نصر الله، أن تستقيم على أمر الله حتى لا يستطيع كافر أن يصل إليك، ولا أن يسلط عليك، ولا أن ينال منك، حتى يشعر أنه ضعيف أمامك، أنت قوي بطاعتك لله.

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُزْنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

هذا الموضوع الأخير له ذيل، أنا أعلم علم اليقين أن أناساً كثيرين تركوا المساجد، تركوا حلقات العلم لإساءة من صديق لهم من رواد المسجد، يقول لك: هكذا فعل معي، كذب علي، خانني، غدر بي، هذا هو المسجد؟ هذا هو الحق؟ أناسٌ كثيرون أعرفهم والله سبب تركهم للمساجد، ولحلقات العلم، ولجماعات المؤمنين أن واحداً أساء إليهم في تعامل تجاري، في قرض لا يؤدي، في وعد لا يوفي به، فقالوا: ما هذه التربية؟ هكذا الإسلام؟ رأى معه حُجَّة، ترك المسجد ترفعاً، من سبب له هذه القطيعة مع الله؟ المسيء، المسيء حينما يسيء يرتكب جريمةً وهو لا يشعر.

الكذب عار و جريمة :

أخواننا الكرام، دققوا في هذه المقولة: ألف تصرف ذكي، مخلص، حكيم يشد إنساناً إلى الحق، تصرف واحد أحمق يقطعه عن الحق، ألف تصرف ذكي حكيم مخلص يشدونك إلى الدين ؛ تصرف أحمق واحد متناقض فيه احتيال، فيه كذب، فيه غدر يقطعك عن الله وعن الدين، شيء خطير، فلذلك:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾

[سورة يس: 12]

أنت أسأت من أجل أن تربح مئة ليرة زيادة، حلفت يميناً كاذباً أمامه، وكان سعرك أعلى من السوق كله، فرأى إنساناً في المسجد يغيره بالسعر، يضحك عليه ويكذب عليه، فترك المسجد، عندما تركه

أصبح معه حجة يقول: كلهم كاذبون، وكلهم دجالون، فبدأ ينحرف، وبدأ يتفلسف، الآن تفلسفه ومعاصيه كلها في صحيفة الذي حملة على ترك المسجد، وأنت لا تدري، كلها في صحيفة الذي حملة على ترك المسجد، من أجل مثني ليرة، أو من أجل خمسمئة ليرة، ضَحَّيْتُ بِأَخٍ لَكَ، أما إذا كنت مؤمناً إيماناً حقيقياً لا تضحي بأخيك ولا بمليون ليرة، أنت تريح إنساناً مؤمناً أفضل من أن تريح الدنيا كلها، فلذلك تجد في هذه الأيام الإنسان يقول: هذا من أخواننا نرفع السعر، بعد يومين تسأل عن السعر يجد أنه دفع بالمئة ثلاثين زيادة، لأنه استسلم، هذا من أخواننا، من رواد المسجد، معقول يكذب عليه؟ كذب عليه، أخذ سعراً غير معقول، ما هذا؟ أهذا هو الدين؟ هؤلاء هم المؤمنون؟ هذه معاملتهم؟ هذا غدرهم؟ ترك ومعه أمام الله حجة يقول: كلهم كاذبون، هذه مشكلة كبيرة جداً.

### ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

لا تسبب قطيعة إنسان عن الله، لا تسبب قطيعة لإنسان مع الله بسببك، لا تخيب ظن الناس بالدين، واحد من الصحابة أثناء الهجرة قبض المشركون عليه، فقال لهم: " والله لو أطلقتموني لن أचारبكم أبداً "، فصدقوه، وأطلقوا سراحه، ذكر هذا للنبي وسرَّ سروراً عظيماً، بعد سنتين أو ثلاثة هناك غزوة فانخرط مع النبي، فلما رآه النبي قال له: "ارجع أنت عاهدتهم" الدين كله قيم، لو أن الصحابة الكرام فهموا الدين كما نفهمه نحن، نحن نفهمه لكن على أساس شعائر، صلوات، صوم، زينة، مولد، منشدين، طرب، عزائم، ولائم، بطاقات دعوى، مكتبة فخمة، لكن لم نفهمه التزاماً، صدقاً، أمانة، عفة، الدنيا كلها تحت قدمك من أجل أن تفي بوعدك، من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كمل مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته، هذا الذي نسعى إليه، فلذلك لا تُخَيِّب ظن إنسان بالإسلام بسبب معاملتك، لا تخيب ظن إنسان بالدين من معاملتك، لا تبع دينك بعرض من الدنيا قليل، لا تكذب مهما كلف الأمر، لا تقول: الكذب ملح الرجال، فهذا كلام الشيطان، الكذب عار، جريمة، النبي كان إذا كشف من أحدٍ كذباً قاطعه:

### ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُ رَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾